العناصر الإشارية في قصيدة "ارحل وعارك في يديك" لفاروق جويدة .. دراسة تحليلية

دكتور/ عبد العزيز صابر عبد العزيز
مدرس العلوم اللغوية
كلية دار العلوم – جامعة المنيا

الإطار العام:

يهدف هذا البحث [العناصر الإشارية في قصيدة " ارحل وعارك في يديك " لفاروق جويدة .. دراسة تحليلية] (*) إلى تطبيق النظرية التداولية بمعاييرها المختلفة على اللغة العربية ووصف خصائصها ورصدها وتفسير ظواهرها الخطابية التواصلية، من خلال التطبيق على مدونة نصية معاصرة "ارحل وعارك في يديك " تلك القصيدة التي تعد واحدة من عيون الشعر العربي؛ حيث إنها تتناول الجرائم الوحشية التي ارتكبها الرئيس الأمريكي [بوش] وجيشه في الشعوب العربية وخصوصًا في العراق، فلسطين .. ولذلك نجد أن الشاعر [فاروق جويدة] قد كثَّف من استعمال العناصر الإشارية بكل أنواعها.

وبناءً عليه، سيتضح – من خلال تحليلنا لهذه المدونة – أهمية هذه العناصر الإشارية في التواصل المباشر بين الناس عبر اللغة، أو بالأحرى بين منتج النص [فاروق جويدة] وجموع المتلقين للنص .

وقد كان اختياري لدراسة العناصر الإشارية؛ لما لها من حضور قوي داخل هذه المدونة النصية، حتى أننا نستطيع أن نقول: إن العناصر الإشارية تشكل ملمحًا أسلوبيًا عند الشاعر، ونظرة سريعة لعنوان المدونة محل التطبيق [ارحل وعارك في يديك] نجد أن هذا العنوان تضمن ثلاثة عناصر إشارية وهي على الترتيب:

الضمير المستتر في [ارحل] ، الكاف[في عارك] ، والكاف في [يديك]، وكلها تشير إلى مرجع واحد [بوش] .

والحقيقة أن هذا العنوان يُعدّ المرتكز الرئيس عبر القصيدة كلهـا؛ حيـث إنـه تكرر بشكل لافت للنظر، فجاء في ثلاثة عشر موضعًا .

وتحقيقًا لهذه الأهداف الرامية إلى بيان دور هذه العناصر الإشارية في الـنص، فقد جاءت محاور هذه الدراسة على النحو الآتي:

أولاً: تمهيد . ثانيًا : الإشاريات الشخصية .

ثالثًا: الإشاريات الزمانية . رابعًا : الإشاريات المكانية .

خامسًا: الإشاريات الخطابية. سادسًا: الإشاريات الاجتماعية .

سابعًا: حواشي البحث . ثامنًا: الخاتمة .

تاسعًا: ثبت المصادر والمراجع .

أولاً: التمهيد :

في الحقيقة لا تنظر التداولية إلى النص باعتباره بنية لغوية تتكون من كلمات وجمل فحسب، بل [تنظر إليه على أنه بنية لغوية أنتجها متكلم أو مبدع معين، بقصدية معينة، وفي موقف كلامي محدد، وفي زمان ومكان محددين، ولمتلقى معين] (١).

وهناك كلمات وتعبيرات لا تفهم بمعزل عن السياق الذي أنتجت فيه، ومن ضمن هذه الكلمات والتعبيرات [العناصر الإشارية] التي تسهم بدور كبير في فهم النص، فهي [وحدات لغوية تتواجد في جميع لغات العالم، وهي على خمسة أنواع: إشاريات شخصية، وإشاريات زمانية، وإشاريات مكانية، وإشاريات اجتماعية، وإشاريات خطابية] (٢).

والجدير بالذكر أن الإشاريات بأنواعها الخمسة لم تكن محل اهتمام التداوليين فحسب، بل اهتم بها العلماء قديمًا من خلال أدوات الربط بين أجزاء الجملة وبين مجموعة الجمل، واهتمامهم ببعض الجوانب الصرفية والنحوية والدلالية؛ ليهتم بها حديثًا علماء التداولية؛ حيث إنهم اعتبروا أن [النص يتألف من عدد من العناصر، تقيم فيما بينها شبكة من العلاقات الداخلية التي تعمل على إيجاد نوع من الانسجام والتماسك بين تلك العناصر، وتسهم الروابط التركيبية والروابط الزمنية والروابط الإحالية في تحقيقها] (٣).

وتعد هذه الإشاريات بأنواعها المختلفة حجر الأساس لبداية عملية حوارية ناجحة ناجزة، قائمة على المشاركة الحقيقية بين المنتِج والمستقبِل.

ويعرفها فان دايك بأنها [تعبيرات تحيل إلى مكونات السياق الاتصالي " يستقي تفسيرها منه " ؛ وهي المتكلم والسامع وزمن المنطوق ومكانه.. إلخ . وهذا يعني أن هذه التعبيرات غير مستقلة عن السياق، ولها دائمًا محيلات أخرى] (٤).

ويذكر لفنسون Levinson [أن التعبيرات الإشارية تذكير دائم للباحثين النظريين في علم اللغة بأن اللغات الطبيعية وضعت أساسًا للتواصل المباشر بين الناس وجهًا لوجه، وتظهر أهميتها البالغة حين تغيب عنا ما تشير إليه فيسود الغموض ويستغلق الفهم] (٥).

ويمكننا من خلال ما سبق التأكيد على حقيقة مهمة وهي: [أن المعنى ليس شيئًا متأصلاً في الكلمات وحدها، ولا يرتبط بالمتكلم وحده، ولا السامع وحده، وإنما

يتمثل في تداول اللغة بين المتكلم والسامع في سياق محدد " مادي ، اجتماعي، لغوي" وصولاً إلى المعنى الكامن في كلام ما] [٦].

وبناءً عليه، فإنه [يمكن حصر العناصر التي يهتم بها المنظرون للتداولية في: المرسل وقصده ونواياه، والمتلقي، والرسالة، والسياق، ثم أفعال اللغة] [٧].

إذن، العناصر الإشارية مفهوم مهم من المفاهيم التداولية التي تجمع كل العناصر اللغوية باعتبارها عناصر تحيل مباشرة على المقام، من حيث وجود ذات متكلمة وزمان التكلم ومكانه، وبالتالي لابد من استحضار السياق المكاني والزماني والشخوص؛ لتحديد العناصر الإشارية .

فالعناصر الإشارية والسياق مرتبطان ببعضهما ارتباطًا شديدًا، وهو ما أكده أ. حمادي مصطفى عندما رأى أن العناصر الإشارية ما هي [إلا علامات لغوية لا يتحدد مرجعها إلا في سياق الخطابي التداولي؛ لأنها خالية من أي معنى في ذاتها] [٨].

ويرى الشهري [أن دور هذه العناصر الإشارية في السياق التداولي لا يقف عند الظاهر منها فقط، بل يتجاوز إلى نمط آخر منها هو مستقر في بنية الخطاب العميقة عند التلفظ، مما يعطيها دور تداولي في استراتيجية الخطاب؛ لأن حدوث التلفظ من ذات المتكلم يكون بسمات معينة وفي حيزين " مكاني / زماني "، وبهذا فإن الخطاب بصفة عامة يحوي على الأقل ثلاثة إشاريات يسميها الباحثون بـ " الأنا / الهنا / الآن] [٩].

ويؤدي السياق دورًا مهمًا في تحديد العناصر الإشارية، ويؤكد الدكتور نحلة[١٠] هذا الدور من خلال المثال الآتي :

" سوف يقومون بهذا العمل غدًا؛ لأنهم ليسوا هنا ".

فقد لاحظ أن هذه الجملة شديدة الغموض؛ لأنها تحتوي على عدد كبير من العناصر الإشارية التي يعتمد تفسيرها اعتمادًا تامًا على السياق المادي الذي قيلت فيه، ومعرفة المرجع الذي تحيل عليه، والعناصر الإشارية فيها هي:

[واو الجماعة + ضمير الجمع الغائبين + اسم الإشارة " هذا " + ظرفا الزمان " غدًا / الآن " + ظرف المكان " هنا "] .

ولا يتضح معنى الجملة إلا بتحديد السياق الذي أنتجت فيه، باعتباره عاملاً أساسيًا لمعرفة ما تشير إليه هذه العناصر.

وهكذا تكون بنية الخطاب التداولي هي:

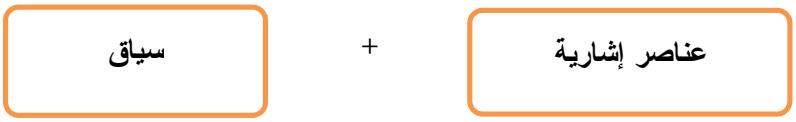

ويرى الدكتور عيد بلبع[١١] أن العناصر الإشارية من العلامات اللغوية التي لا يتحدد مرجعها إلا في سياق الخطاب؛ لأنها خالية من أي معنى في ذاتها، لذلك فقد كان العرب سابقًا يطلقون عليها " المبهمات " .

إذن، تتضافر هذه العناصر الإشارية مع السياق، فتتضح دلالتها بصورة أكثر وضوحًا من ذي قبل، خاصة إذا كنا أمام مدونة نصية مثل هذه المدونة محل التطبيق؛ لأن الخطاب الشعري هنا في هذه المدونة وليد لغة مشتركة بين طرفي العملية التواصلية وهما: منتِج النص " فاروق جويدة" و مستقبِل للنص" العرب وغيرهم " .

هذا، وقد اخترت من الدرس التداولي جانب الإشاريات كآلية تحليلية نتعرف الإمكانات التي تتضمنها لغة الخطاب الشعري أثناء العملية التواصلية؛ حيث سيكون هدفنا من بحثنا هذا هو الإجابة عن السؤال الآتي:

كيف يمكننا توظيف " العناصر الإشارية " في تحليل العلامات اللغوية داخل لغة الخطاب الشعري ؟

ثانيًا: الإشاريات الشخصية: Personal Deictics

وهي تشتمل على كل العناصر الإشارية الدالة على شخص Person وهي ضمائر المتكلم، ويقصد بها تلك الضمائر التي تدل على المتكلم وحده؛ مثل: [أنا / تاء المتكلم / ياء المتكلم]، أو تلك الضمائر التي تدل على المتكلم ومعه غيره؛ مثل [نا / نحن] ، كما أنها تشمل كذلك كل الضمائر الدالة على المخاطب [مفردًا أو مثنى أو جمعًا] مذكرًا أو مؤنثًا؛ مثل: [تاء الخطاب / أنتَ / أنتِ/ أنتما/ أنتم / أنتن].

ولاشك أن ضمائر الحاضر هي دائمًا عناصر إشارية؛ لأن مرجعها يعتمد اعتمادًا تامًا على السياق الذي تستخدم فيه، وليس من شك في أن الضمير [أنا/ أنت] ونحوهما لهما دلالة في حد ذاتهما على المتكلم أو المخاطب، لكن السياق لازم لمعرفة

من المتكلم أو المخاطب الذي يحيل إليه الضمير [أنا / أنت] ، فإذا قلنا مثلاً أنا ناجح . فالسياق وحده قادر على أن يحدد إحالة الضمير [أنا] (١٣).

وقد ينشأ نوع من اللبس في استخدام الضمائر، إذا تعددت الأشخاص، فيؤدي هذا إلى تعدد في إحالات الضمائر؛ مثل:

دخل خالد القاعة فرأى بكرًا جالسًا ورآه بكر فابتسم له وصافحه . فإن إحالة الضمير في [ابتسم] و [صافحه] فيها نوع من اللبس والغموض في أنها يمكن أن تعود على خالد أو على بكر (١٤).

ويدخل النداء في الإشاريات الشخصية، وهو ضميمة اسمية تشير إلى مخاطب لتنبيهه أو توجيهه أو استدعائه، وهي ليست مدمجة فيما يتلوها من كلام، بل تنفصل عنه بتنغيم يميزها، وظاهر أن النداء لا يفهم إلا إذ اتضح المرجع الذي يشير إليه (١٥).

وسوف يتضح لنا من خلال تحليل المدونة النصية مدى الدور المهم الذي تقوم به العناصر الإشارية الشخصية في التواصل بين الشاعر ومتلقيه؛ حيث احتشدت القصيدة بالعناصر الإشارية المختلفة وخصوصًا الإشاريات الشخصية التي جاءت بصورة مكثفة جدًا مما كان له الأثر في نجاح العملية التواصلية بشكل ناجز قائم على المشاركة الحقيقية بين طرفيها .

فمن خلال النص نلحظ أنه احتشد بمجموعة هائلة من العناصر الإشارية ، سواء أكانت عناصر إشارية للمخاطب أم للمتكلم .

ويمكننا رصد العناصر الإشارية للمخاطب على النحو الآتي:

الجملة	العنصر الإشاري
أخفيتَه	تاء المخاطب
يبدو عليك	كاف الخطاب
فاخلع ثيابك وارتحل	الضمير المستتر / كاف الخطاب/ الضمير المستتر
اعتدت	تاء المخاطب
أن تمضي	الضمير المستتر
لا تنتظر	الضمير المستتر

الجملة	العنصر الإشاري
أن يقبل وجنتيك	كاف الخطاب
تغفو في ثيابك	كاف الخطاب
ربما سكنت إليك	كاف الخطاب
لعلها تبكي عليك	كاف الخطاب
مازالت تلوث راحتيك	كاف الخطاب
وعلى يديك	كاف الخطاب
لن يفارق مقلتيك	كاف الخطاب
وشم عار في جبينك	كاف الخطاب
كلما أخفيته	تاء المخاطب
يبدو عليك	كاف الخطاب
وتلعن والديك	كاف الخطاب
قل لي	الضمير المستتر
لم يعد شيء لديك	كاف الخطاب
هذي نهايتك الحزينة	كاف الخطاب
شاهدة عليك	كاف الخطاب
الآن ترحل	الضمير المستتر
غير مأسوف عليك	كاف الخطاب
انظر إلى صمت المساجد	الضمير المستتر
انظر إلى بغداد	الضمير المستتر
الآن ترحل	الضمير المستتر
خلف جنودك القتلى	كاف الخطاب
وعارك أي عار	كاف الخطاب
مهما اعتذرت	تاء المخاطب

الجملة	العنصر الإشاري
أمام شعبك	كاف الخطاب
لن يفيدك الاعتذار	كاف الخطاب
لا شيء يبكي في رحيلك	كاف الخطاب
لا شيء يبدو في وداعك	كاف الخطاب
اسمع جنودك	كاف الخطاب
ماذا تركتَ الآن	تاء المخاطب
الآن ترحل	الضمير المستتر
تحمل عارك	كاف الخطاب
حلمك الواهي	كاف الخطاب
هذي سفينتك	كاف الخطاب
لا عرش لديك	كاف الخطاب
كل العصابة فارقتك	كاف الخطاب
الكون في عينيك	كاف الخطاب
تخفي من حياتك	كاف الخطاب
هذا كتابك	كاف الخطاب
في يديك	كاف الخطاب
ولن تعيدك	كاف الخطاب
وإذا برئت	تاء المخاطب
فلن تبرئك السماء	كاف الخطاب
لو سال دمعك	كاف الخطاب
لن يطهرك البكاء	كاف الخطاب

أما عن العناصر الإشارية للمتكلم، فيمكن رصدها على النحو الآتي:

الجملة	العنصر الإشاري
قل لي	ياء المتكلم
ما لي أرى الأشجار صامتة	ياء المتكلم
ما لي أرى الأنفاس خافتة	ياء المتكلم
قل لي بربك	ياء المتكلم

ومن خلال رصدنا للعناصر الإشارية الشخصية نلحظ أن المتكلم هو الشاعر [فاروق جويدة] يخاطب بوش، ولذلك فالعناصر الإشارية الشخصية للمخاطب تشير إلى بوش، والعناصر الإشارية الشخصية للمتكلم تشير إلى فاروق جويدة .

كذلك أود أن أشير إلى جانب مهم تحقق من خلال ثنائية العناصر الإشارية الشخصية [المخاطب/ المتكلم] وهو التواصل الناجح الحاصل بين طرفي الخطاب عن طريق هذه العناصر .

وبناءً عليه، فقد أدت هذه العناصر الإشارية الشخصية الوظيفة التي من أجلها وضعت اللغات الطبيعية في الأساس، وهي التواصل المباشر بين الناس وجهًا لوجه .

والحقيقة أن العناصر الإشارية للمتكلم والمخاطب تقوم بدور مهم داخل الخطاب؛ حيث يشعر المخاطب بأنه يقوم بدور المشارك الثاني في صناعة الخطاب وبالتالي يظهر الجانب التأثيري للفعل اللغوي أو الفعل الكلامي.

وكان لضمير المخاطب [الكاف] دور في الإشارة إلى المخاطب في القصيدة؛ حيث ظهر واضحًا ذلك التكثيف وحضور المخاطَب بشكل لافت للنظر على مدار القصيدة كلها [تَ / الكاف/ أنتَ] وهي ضمائر تقوم بحسب أدبيات التداولية بوظيفة تنبيهية وتأثيرية وتبليغية وتوسيعية (١٦).

ويظهر بوضوح مدى التناغم الشديد بين طرفي العملية التواصلية؛ حيث لم يغمض مرجع ضمير مما أسهم بدور كبير في بناء التواصل اللغوي بين الجماعة اللغوية، فالمتكلم هنا هو الشاعر [فاروق جويدة] والمخاطب هنا هو [بوش].

ولعلنا نلحظ أن الشاعر وهو منتج النص لا يعنيه نفسه بقدر عنايته بالمخاطب [بوش]، ولذلك تلحظ أنه لم يأت بالضمير الدال على المتكلم إلا أربعة مواضع بعكس

ضمير المخاطب الذي يحيل إلى [بوش] ، فقد جاء بشكل لافت للنظر كي يبين جرائمه ويفضح ما اقترفه في الشعوب العربية وخصوصًا في بغداد وفلسطين .

ويأتي التركيب [ارحل وعارك في يديك] بعناصره الإشارية المختلفة كمرتكز ضوئي عبر القصيدة كلها؛ أي أن الشاعر يريد أن يؤكد على موقفه تجاه بوش، وحتى لا ينسى بوش ما فعله نرى الشاعر بين كل مقطوعة وأخرى يعاود الكَـرَّة من جديد باستخدام العناصر الإشارية للمخاطب [الضمير المستتر/ كاف المخاطب] ، وكلها ترجع إلى بوش. فقد تكرر هذا التركيب أكثر من ثلاث عشرة مرة عبر القصيدة كلها، فالشاعر لم يطلب من بوش الرحيل فقط، بل كان مصممًا على ملازمة الرحيل بالعار الذي لطخ يديه بسبب جرائم القتل والتعذيب التي ارتكبها في حق الشعب العراقي والشعب الفلسطيني على السواء .

ولذلك جاءت العناصر الإشارية الأخرى شارحة هذا المعنى بالتفصيل على مدار القصيدة كلها؛ مثل:

لا تنتظر طفلاً يتيمًا
أن يقبل وجنتيك
لا تنتظر عصفورة بيضاء
تغفو في ثيابك
ربما سكنت إليك
لا تنتظر أما تطاردها دموع الراحلين
لعلها تبكي عليك
لا تنتظر صفحًا جميلاً
الدماء السود مازالت تلوث راحتيك
وعلى يديك دماء شعب آمن
مهما توارت لن يفارق مقلتيك
وشم عار في جبينك
كلما أخفيته يبدو عليك
كل الشواهد فوق غزة والخليل
الآن تحمل سخطها الدامي

وتلعن والديك
ماذا تبقى من حشود الموت
في بغداد .. قل لي
لم يعد شيء لديك

فالشاعر هنا لجأ إلى تكثيف العناصر الإشارية للمخاطب؛ حتى يبين الدمار والخراب الذي صنعه بوش في بغداد وفلسطين، ويكفي أن نقف على دلالة هذا الدمار من خلال الوصفين اللذين قدمهما جويدة للتأكيد على جرم بوش، وهما :

- الدماء السود مازالت تلوث راحتيك
- والليالي السود .. شاهدة عليك

فالدماء والليالي وصفهما الشاعر بالسواد؛ ليكشف لنا مدى الدمار الذي أحدثه بوش في هذين البلدين الشقيقين، وانظر معي إلى التركيب [الدماء السود] ، فمن المعروف أن الدماء تكون حمراء، ولكن الشاعر لا يريد أن يقف عند هذا الوصف التقليدي، بل تجاوزه ونعته بالسواد؛ كي يؤكد على هذا الدمار والقتل والتشريد والخراب الذي سببه بوش في حق هذين الشعبين .

ثالثًا: الإشاريات الزمانية : Temporal Deictics

وهي الملفوظات التي تدل على زمان يحدده السياق، وذلك بالقياس إلى زمان التلفظ الذي هو مركز الإشارة الزمانية في القول، وتكمن قيمة التداولية في أنه بدون تحديد زمن التكلم يلتبس الأمر على المتلقي ويصعب عليه الفهم، ذلك أن المرجع في الزمان يختلف حسب الحامل الدلالي، فقد يشير إلى الزمان الكوني الذي يشمل السنين والأشهر والأيام، أو يشير إلى الزمن النحوي الذي يتحدد معناه من الكلمة في حالتها التركيبية [١٧].

إذن، يتضح الربط الشديد بين الإشاريات الزمانية والسياق[١٨]، ولذلك سيكون تحليلنا مركزًا على الزمان النحوي، ودوره في عملية التواصل، ومدى العلاقة بينه وبين السياق؛ باعتباره عنصرًا مهمًا من عناصر استعمال اللغة وتحديد الدلالة المقصودة وبالتالي التواصل الناجز بين طرفي العملية اللغوية .

ومعنى ذلك أن المنتج أو المتكلم هو مركز الإشارة الزمنية؛ حيث إنه القادر على التحكم في وتيرة الزمن طبقًا لسير الأحداث ومتطلبات السياق.

ويتضح ذلك من خلال المخطط الآتي:

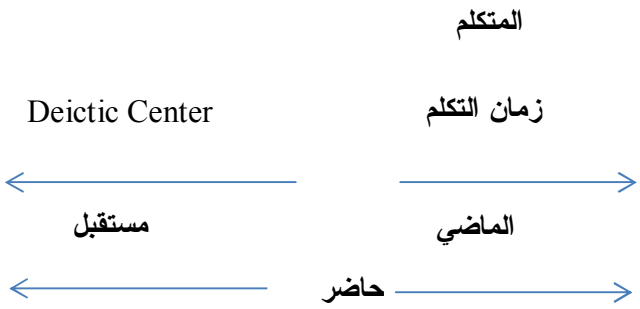

والجدير بالذكر أنه لا يمكن دراسة الزمن بمعزل عن الصيغ الفعليـــة؛ وذلـــك لأنها تحمل الزمن والزمن جزء منها؛ لأن [أهم ميزة يختص بها الفعل ليـــست مادتـــه، بل ميزته الأساسية تكمن في أنه يعبر عن الزمن] [١٩].

ولقد تعددت الصيغ الفعلية المختلفة في القصيدة؛ مثل قول الشاعر:

- الدماء السود مازالت تلوث راحتيك
- على بحار الدم في بغداد صاروا ..
- صار طيفاً ساكناً فوق الجدار ؟!
- لمواكب غابت
- ومدائن صارت
- ماذا تركت الآن في بغداد من ذكرى
- ما عاد يجدي
- لو سال دمعك ألف عام
- صار مأوى للرمم
- لأمة عرجاء قالوا إنها كانت – ورب الناس – من خير الأمم
- فغاص في دم الفرات
- وهام في نفط الخليج
- وعاث فيهم وانتقم
- سجن الصغار مع الكبار

جاءت الأفعال [زالت / صاروا/ صار/ غابت / صارت/ تركت / عاد / سال / صار/ قالوا/ كانت / غاص/ هام / عاث / سجن] ؛ لتكشف حقيقة ظلم وبطش بوش.

ولاشك أن صيغ الأفعال السابقة جاءت في زمن المضي، فكل هذه الأحداث من قتل وتشريد ودمار وسجن إنما حدثت في زمن المضي قبل زمن تكلم الشاعر.

ولما كان عنوان القصيدة [في وداع بوش] كان حتمًا على الشاعر أن يذكر ما فعله بوش من قتل وتعذيب وتشريد ودمار، فبوش إن كان رحل وهو بالفعل قد رحل إلا أن آثار الدمار والخراب والتشريد ستظل باقية لا تمحى من الذاكرة العربية، فلما كان السياق سياق إخبار بما فعله هذا الغاشم المحتل، فقد وظّف الشاعر كل الأفعال التي تدل على الماضي؛ حتى لا ينسى أحد ما فعله هذا المجرم في حق الشعوب العربية .

وتتوالى الصيغ الفعلية؛ حيث جاءت صيغة [يفعل] مكثفة بشكل لافت للنظر على مدار القصيدة كلها؛ مثل قول الشاعر:

كل الذي أخفيته [يبدو] عليك
اعتدت أن [تمضي] أمام الناس
لا تنتظر عصفورة بيضاء
[تغفو] في ثيابك
لا تنتظر أما تطاردها دموع الراحلين
لعلها [تبكي] عليك
كل الشواهد فوق غزة والخليل
الآن [تحمل] سخطها الدامي
و[تلعن] والديك
فارحل وعارك في يديك
الآن [ترحل] غير مأسوف عليك
انظر إلى صمت المساجد والمنابر تشتكي
و[يصيح] في أرجائها شبح الدمار
انظر إلى بغداد [تنعي] أهلها
الآن [ترحل] عن ثرى بغداد
ولمن [يكون] الاعتذار ؟

لم تزل [تبكي] وحيدًا ؟!
لأماكن [تبكي] على أطلالها
ومدائن صارت بقايا من غبار ؟!
لله حين [تنام]
لا شيء [يبكي] في رحيلك ..
رغم أن الناس [تبكي] عادة عند الرحيل
مالي أرى الأنفاس خافتة
ووجه الصبح مكتئبا
وأحلامًا بلون الموت
[تركض] خلف وهم مستحيل
فهذا قاتل .. [ينعي] القتيل ..
أو مصاب [يدفن] العلم الذليل
غير دمع كلما اختنقت [يسيل]
عن بيت توارى
[يسأل] الأطلال في فزع
الآن [ترحل] عن ثرى بغداد
[تحمل] عارك المسكون

حيث جاءت الأفعال [يبدو / تمضي/ تغفو/ تبكي/ تحمل/ تلعن/ ترحل/ يصيح/ تنعي/ يكون/ تبكي/ تنام/ تركض/ ينعي/ يدفن/ يسيل/ يسأل/ ترحل/ تحمل] دالة على الحاضر والمستقبل ، فبوش لا يستطيع أن يخفى ما ارتكبه من جرائم، فكل الشواهد حملت وستحمل سخطها الدامي بسبب هذه الجرائم، وقد جعل سييبويه صيغة [يفعل] دالة على الحاضر والمستقبل؛ حيث قال: [وأما بناء ما لم يقع فإنه قولك آمرًا: اذهب ومخبرًا " يقتل " وكذلك بناء ما لم ينقطع وهو كائن إذا أخبرت] (٢٠).

ويبدو مما سبق أن الصيغة الزمنية [يفعل] لها ازدواج زمني؛ بمعنى أنها تدل على الحاضر والمستقبل، وهو ما أكده أحد الباحثين المعاصرين حينما أسند دلالة الازدواج الزمني إلى صيغة [يفعل] ؛ حيث يقول: [وهو – يفعل – الذي يدل في أكثر استعمالاته على وقوع الحدث في زمن التكلم] (٢١).

ويقول في موضع آخر : [والجملة التي تعبر عن المستقبل البسيط وأداتها المضارع الصرفي] (٢٢).

وتتوالى الصيغ الزمنية طوال القصيدة، فنجد صيغة [افعل] من الصيغ التي توالت بشكل لافت للنظر، والأمر يأتي دائمًا للمستقبل ، سواء أكان المستقبل للقريب أم البعيد .

وقد جاءت صيغة الأمر [افعل] في قول الشاعر :

- فاخلع ثيابك وارتحل
- انظر إلى صمت المساجد
- انظر إلى بغداد تنعي أهلها
- انظر إلى الأطفال يرتعدون

فالناظر في هذه الأفعال [اخلع – ارتحل – انظر] يجد أنها أفعال أمر، وسياق الحال بداية من زمن التلفظ أن الأوامر للمستقبل. فالشاعر وهو يتلفظ بهذه الأفعال لم يكن همه سرد ما حدث من قتل وتخريب ودمار على يد بوش، وإنما هو يريد أن يذكره دائمًا بمآسيه التي فعلها مهما مرت السنون، وبالتالي فالسياقات كلها سياقات تدل على المستقبل، فكم من مساجد صمتت عن الآذان بسبب عمليات التدمير التي لحقتها، وكم من رجال فقدوا وأطفال يتموا ونساء ترملت، حتى الأطفال الذين لم ينلهم الموت عاشوا وهم مرتعدون يخافون من أن ينالهم ما نال نظرائهم .

رابعًا: الإشاريات المكانية :Spatial deictics

ترجع الإشاريات المكانية إلى أماكن، ويعتمد استعمالها على معرفة مكان المتكلم وقت التكلم، أو على مكان آخر معروف للمخاطب أو على السامع، وبالتالي يستحيل على الناطقين بأي لغة أن يستعملوا أو يفسروا عناصر مثل: هذا وذاك، وهنا وهناك وغيرها إلا إذا وقفوا على ما تشير إليه بالقياس إلى مركز الإشارة إلى المكان، فهي تعتمد على السياق المادي المباشر Immediate physical Context الذي قيلت فيه (٢٣).

وبناءً على هذا الطرح ، فإن هذه العناصر لا تفهم معزولة عن سياقها الذي أنتجت فيه، ولذلك فـ [الإشاريات المكانية لا يمكن تفسيرها ومعرفتها إلا بمعرفة المكان الذي يقصده المتكلم] (٢٤).

والحقيقة أن الأساس التداولي الحقيقي للعنصر المكاني بعدًا نفسيًاPhyschological distance ؛ حيث يميل المتكلم إلى معاملة الأشياء البعيدة ماديًا على أنها بعيدة نفسيًا؛ مثل: ذلك الرجل هناك – ومع ذلك فقد يرغب المتكلم في جعل شيء قريب ماديًا؛ مثل: " عطر استنشقه " بعيدًا نفسيًا بقوله : لا أحب ذلك العطر، فإن كلمة مثل: ذلك لا تمتلك معنى دلاليًا ثابتًا ولكنها تشبع بمعنى ما في سياق المتكلم (٢٥).

وأكثر الإشاريات المكانية وضوحًا هي كلمات الإشارة؛ مثل: هذا وذاك للإشارة إلى قريب أو بعيد من مركز الإشارة المكانية وهو المتكلم، وكذلك هنا وهناك وهما من ظروف المكان التي تحمل معنى الإشارة إلى قريب أو بعيد من المتكلم، وسائر ظروف المكان؛ مثل فوق وتحت وأمام وخلف .. إلخ . كلها عناصر يشار بها إلى مكان لا يتحدد إلا بمعرفة موقع المتكلم واتجاهه (٢٦).

إذن، يعد المكان عنصرًا مهمًا من عناصر السياق، ومن ثم فهو عنصر فعّال في العملية التواصلية؛ حيث يعمد إليه المتكلم لتبليغ شيء ما، وبالتالي فهو جزء أصيل من البنية الدلالية وركن مهم من ملابسات الخطاب.

وقد استعمل فاروق جويدة الإشاريات المكانية بشكل لافت للنظر؛ تأكيدًا منه على دور هذه العناصر في صنع النص أو الخطاب .

فمن ذلك قوله :

كل الشواهد فوق غزة والخليل
الآن تحمل سخطها الدامي
وتلعن والديك

فاستعمال الشاعر لظرف المكان [فوق] له دلالة؛ حيث يؤكد أن كل ما ارتكبه بوش في هاتين المدينتين خصوصًا [غزة والخليل] لن يمحى بمرور الزمن، فالشواهد موجودة، ومهما حاول بوش أن يمحوها فلن يستطيع، ومن ثم، فقد أسهم هذا العنصر الإشاري في فهم النص.

وهنا يظهر أهمية استعمال المكان باعتباره عنصرًا رئيسًا من عناصر الأحداث، وسببًا رئيسًا في استدعاء الخطاب، فلولا الدمار والخراب الذي وقع على غزة

والخليل لما تحدث الشاعر عنهما، فلو لم يكن للمكان أهمية بالغة في صنع النص؛ لما كان هناك مبرر لاستعماله أو الإشارة إليه .

وبناءً عليه، يصل الشاعر إلى نتيجة حتمية لهذا الظالم جراء أفعاله الوحشية بحق الشعب الفلسطيني؛ حيث يقول:

هذي نهايتك الحزينة
بين أطلال الخرائب
والدمار يلف غزة

فاستعمل هنا عنصري الإشارة [هذي / بين] للإشارة إلى النتيجة الحتمية لأي ظالم ومعتد، فلابد لكل ظالم من نهاية مهما علا شأنه، ومهما تكبر، فالشاعر هنا استعمل هذين العنصرين لهدف ومقصد هو يعلمه جيدًا، وهو أن مثل هذه العناصر تؤدي دورًا مهمًا في فهم الخطاب، وتساعد المتكلم على تبليغ رسالته بسهولة ويسر.

ويستمر فاروق جويدة في رصد ألوان الخراب والدمار التي صنعها بوش وأعوانه في حق الدول العربية؛ حيث ينتقل من حديثه عن غزة والخليل إلى الحديث عن بغداد، فيقول:

الآن ترحل غير مأسوف عليك
خلف جنودك القتلى
وعار أي عار
مهما اعتذرت أمام شعبك
لن يفيدك الاعتذار

فالجرائم التي ارتكبها هذا الظالم في حق الشعب العراقي لن تغتفر، ولذلك يطلب الشاعر منه أن يرحل عن أرض بغداد، وانظر إلى دقة استعمال العنصر الإشاري [خلف] ، فطبعي أن يكون هذا الظالم أمام الجنود لا خلفهم، ولكن الشاعر له هدف من ذلك، حيث إنه يريد أن يقلل من شأنه ويحقره، ويريد أن يشارك المتلقي في هذا الفهم، فالعناصر الإشارية في المقام الأول والأخير عناصر تواصلية ، يتواصل عن طريقها كل من المتكلم والمتلقي.

ويواصل الشاعر استهجانه وتحقيره للمحتل، فمهما اعتذر فلن يفيد الاعتذار، حتى إذا اعتذر أمام شعبه، فلن ينفعه هذا الاعتذار، ويسوق في ذلك شبكة تركيبية دلالية تسهم بدور فعال في تأكيد هذا النفي، فاعتذاره لن يفيد.

ولمن يكون الاعتذار ؟
للأرض .. للطروقات .. للأحياء .. للموتى ..
وللمدن العتيقة .. للصغار ؟!
لمواكب التاريخ .. للأرض الحزينة
للشواطئ .. للقفار ؟!
لعيون طفل مات في عينيه ضوء الصبح
واختنق النهار ؟!
لدموع أم
لم تزل تبكي وحيدًا ؟!
صار طيفًا ساكنًا فوق الجدار ؟!
لمواكب غابت
وأضناها مع الأيام طول الانتظار ؟!
لمن يكون الاعتذار ؟!
لأماكن تبكي على أطلالها
ومدائن صارت بقايا من غبار ؟!
لله حين تنام
في قبر وحيدًا .. والجحيم تلال نار ؟!!

فاستعمل هنا الشاعر هذه الشبكة التركيبية التي تعد من أكبر الشبكات التركيبية في النص؛ حيث بدأها بعنصر رئيس وهو الاستفهام [لمن يكون الاعتذار] ، وبعد هذا العنصر الذي يعد بمثابة المرتكز الضوئي في الشبكة تأتي الإجابة المتمثلة في كل ما اقترفه هذا المحتل من حيث [الأرض / الطرقات / الأحياء / الموتى / المدن العتيقة / الصغار / مواكب التاريخ / الشواطئ / القفار/ عيون طفل/ دموع أم/ أماكن تبكي على أطلالها / مدائن صارت بقايا من غبار] .

ويأتي العنصر الإشاري المكاني [فوق] ليوضح مدى الجرم والوحشية التي ارتكبت ضد الشعب العراقي، حتى الطفل الوحيد لأمه لم يسلم من جرائمهم، ولم يعد منه شيء إلا أنه طيف ساكن فوق جدار البيت، وبالتالي فقد أصبح العنصر الإشاري المكاني ركنًا رئيسًا من أركان البنية الدلالية للخطاب .

ويستمر فاروق جويدة في الاعتماد على العناصر الإشارية المكانية، باعتبارها عناصر مهمة من عناصر المكون الدلالي للخطاب، ويتضح ذلك في قوله مثلاً:

ارحل وعارك في يديك
هذي سفينتك الكئيبة
في سواد الليل ترحل
لا أمان .. ولا شراع
تمضي وحيدًا في خريف العمر .
لا عرش لديك .. ولا متاع
لا أهل .. لا أحباب .. لا أصحاب
لا سندًا .. ولا أتباع

فقد وظف التركيب الفعلي [ارحل وعارك في يديك] ، ثم استعمل العنصر الإشاري [هذي سفينتك الكئيبة] لتدعيم التركيب السابق، ومن ثم زاوج بين التركيب الفعلي والاسمي للتأكيد على هذا المعنى، فسفينته ليست مثل أي سفينة عادية، بل هي سفينة كئيبة ؛ لأنها تحمل شخصًا كئيبًا، وعندما ترحل هذه السفينة لا ترحل في وضح النهار، وإنما ترحل في سواد الليل، ولم يكتف الشاعر بهذه الدلالات، بل أضفى عليها مزيدًا من التوتر والقلق الذي يبدو على بوش عند رحيله، حيث لا أمن ولا أمان ، ولا عرش ولا متاع، ولا أهل ولا أحباب، ولا أصحاب ولا أتباع .

كل ذلك كان خدمة لهذا العنصر الإشاري [هذي] ، وقد نجح الشاعر في ربط العناصر اللغوية؛ حيث استخدم أسلوب النفي للتأكيد على كآبة منظر الرحيل.

ويمكننا توضيح ذلك من خلال المخطط الآتي:

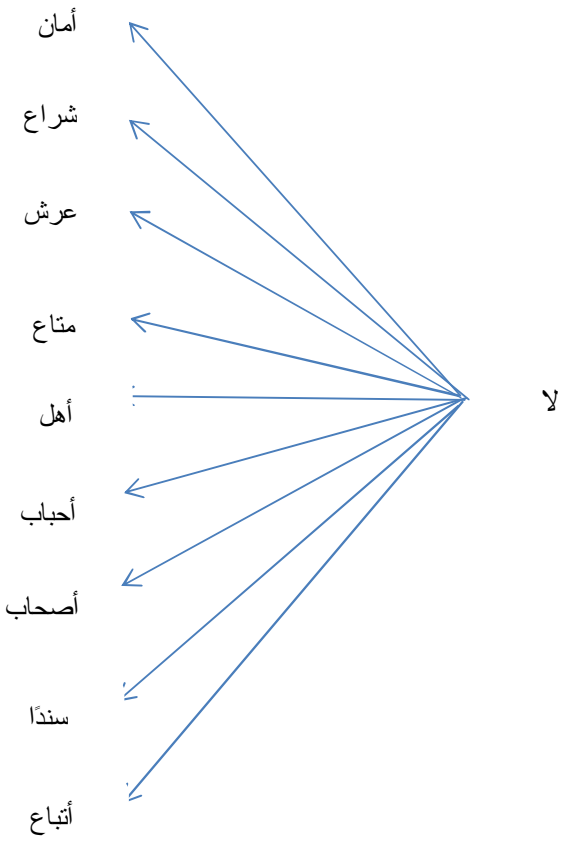

خامسًا: الإشاريات الخطابية Discourse deictics

تعد الإشاريات الخطابية من خواص الخطاب، وذلك باعتبارها إشاريات تأتي ضمن ملابسات الخطاب؛ حيث إنها وليدة السياق المقامي .

وتتمثل هذه الإشاريات في العبارات التي تذكر في النص مشيرة إلى موقف خاص بالمتكلم، فقد يتحير في ترجيح رأي على رأي أو الوصول إلى مقطع اليقين في مناقشة أمر فيقول: ومهما يكن من أمر، وقد يحتاج إلى أن يستدرك على كلام سابق أو يضرب عنه فيستخدم لكن أو بل، وقد يعن له أن يضيف إلى ما قال شيئًا آخر فيقول فضلاً عن ذلك، وقد يعمد إلى تضعيف رأي فيذكره بصيغة التمريض، قيل: وقد يريد أن يرتب أمرًا على آخر فيقول من ثَّم .. إلخ " [٢٧].

وقد وظَّف [فاروق جويدة] هذه الخاصية خير توظيف في النص؛ حيث استطاع أن يصل لمقصده ورأيه عند المخاطب، ويتضح ذلك من خلال قوله :

الموت حاصرهم فناموا في القبور
وعانقوا أشلاءهم
لكن صوت الحق فيهم لم ينم
يحكون عن ذئب حقير
أطلق الفئران ليلاً في المدينة
ثم أسكره الدمار

وقوله :

ارحل وعارك في يديك
مازالت تنتظر الجنود العائدين ..
بلا وجوه .. أو ملامح
صاروا على وجه الزمان
خريطة صماء تروي ..
ما ارتكب من المآسي .. والمذابح
قد كنت تحلم أن تصافحهم
ولكن الشواهد والمقابر لا تصافح

فمن خلال ما سبق نلحظ أن الشاعر قد استخدم [لكن] وهي للاستدراك، يقول ابن هشام عن [لكن] المخففة الساكنة: " فإن وليها كلام فهي حرف ابتداء لمجرد الاستدراك " (٢٨).

والاستدراك – كما يسميه د. محمد خطابي الوصل العكسي – يعني على عكس ما هو متوقع " (٢٩).

وبناءً عليه، فاستعمال [لكن] بعدما عدد الشاعر صنوف القهر والبطش الذي اقترفه بوش في حق الأمة العربية، جاءت على عكس ما هو متوقع، ومن ثمّ فالاستدراك هنا جاء لتنشيط الذهن لدى المتلقي، ويمنحه دلالة قوية على رغبة الشاعر في استنهاض الهمم ومواجهة هذا المحتل المغتصب .

لذلك كله يمكننا أن نعد الإشاريات الخطابية من خصائص الخطاب؛ لأنها خلقت مرجعًا جديدًا، وبالتالي مقصدًا جديدًا للمتكلم؛ حيث إنها لم تشر إلى سابق أو لاحق في الخطاب نفسه، أي أنها ليست من الإحالة، والجدير بالذكر في هذا الصدد أيضًا أن الاستدراك أثناء الكلام له دور مهم في بلورة المعنى المقصود، وجعله أقرب إلى الذهن، مما يضعه بؤرة اهتمام السامع، وهذا كله من خواص اللغة في الاستعمال والتواصل اللغوي .

وتأتي الإشاريات الخطابية لتسهم بدور مهم في توكيد المعنى وتحقيق الغرض المنشود منها؛ حيث إنها تختزل المعنى، وتبلور مقصد المتكلم ، وهذا واضح لا خفاء فيه، فالشاعر في المقطوعة الثانية يؤكد على الكم الهائل من الجرائم والمآسي والمذابح التي اقترفها بوش، فقد كان حلمه أن يصافح جنوده العائدين، ولكن كل الدلائل والمقابر لا تريد أن تصافحه .

ولذلك نستطيع أن نقول : إن الإشاريات الخطابية تعد خصيصة مهمة من خصائص الخطاب المنطوق؛ لأنها تعد نتيجة هذا التفاعل الحواري اللغوي ووليدة توارد الأفكار وملابسات سياق الحال. وكل ذلك أسهم بشكل كبير في ظهور [علم الدلالة المقامي Semantics Situational] على النحو الذي وجد عنه [بارواىز وبري barwise and perry]؛ لإدخال الجوانب السياقية في التفسير الدلالي، فأصبحت الإشاريات مجالاً مشتركًا بين علم الدلالة والتداولية غير أن بعض الباحثين لا يزال يراها أدخل في التداولية منها في علم الدلالة (٣٠).

ولذلك ، يتضح لنا مدى الدور المهم الذي تسهم فيه الإشاريات الخطابية في سير العملية التواصلية، واختزال مقصدية الخطاب في التعبير بها، فمن خلالها " يستطيع المتكلم أن يبدي رأيًا أو يستدرك كلامًا سابقًا أو يوضح أمرًا، أو يصدر تعليقًا تجاه موقف معين فيستعمل بذلك عبارات ملائمة تفي بالغرض المقصود"(٣١).

سادسًا: الإشاريات الاجتماعية Social Deixis

وهي " ألفاظ أو عبارات تشير إلى العلاقة الاجتماعية بين المتكلمين والمخاطبين من حيث هي علاقة رسمية formal ، أو غير رسمية informal، أو علاقة حميمة intimacy أو غير حميمة non-intimacy أو غير ذلك من مستويات العلاقة .

والعلاقة الرسمية يدخل فيها صيغ التبجيل honorificforms في مخاطبة من هم أكبر سنًا ومقامًا من المتكلم كاستخدام Vous في اللغة الفرنسية للمفرد المخاطب تبجيلاً له، أو مراعاة للمسافة الاجتماعية، أو حفظًا للحوار في إطار رسمي ... أما الاستعمالات غير الرسمية فتتخلص من هذه القيود جميعًا " (٣٢).

وربما وجدنا ظلالاً للإشاريات الاجتماعية في دلالة استخدام بعض الألفاظ على طبقة اجتماعية بعينها؛ مثل استخدام Looking glass الذي يعد في بريطانيا إشارة إلى الطبقة الاجتماعية العليا في مقابل [Mirror] ومثلها [Lady, Woman](٣٣).

ومن ذلك في اللغة العربية استعمال حامل، وحبلى، وكنيف، ومرحاض، ودورة مياه، وحمام، وتواليت، ومنها: استخدام عقليته وقرينته وحرمته وزوجته وامرأته (٣٤).

والحقيقة أن [هاليداي] قد حدد ثلاثة أبعاد للموقف الكلامي على النحو الآتي:

[١] المجال Faild : ويقصد به موضوع الحدث اللغوي وهدفه، بعبارة أخرى ماذا يقال ؟ ولماذا ؟ قد يكون الموضوع مثلاً عن رحلة صيد يزمع المتكلم القيام بها، فيتحدث عنها ليغري مخاطبة بالاشتراك فيها، وقد يكون عن دور اللهو، ويهدف المتحدث إلى تحذير المخاطب من ارتيادها .. إلخ .

[٢] القناة Mode : ويقصد بها وسيلة الاتصال – قد تكون مكتوبة أو منطوقة بمختلف أشكالهما، ورسالة خطية، – رسالة مسجلة على شريط، إعلان على شاشة التليفزيون .. إلخ .

[٣] العلاقة Tenor: ويقصد بها ما بين المتحدث والمخاطب من روابط فقد يكون المتحدث صديقًا للمخاطب، وقد يكون رئيسًا له في العمل، وقد يكون رجل دين يلقى خطبة في مسجد أو عظة في كنيسة، وقد يكون قاضيًا يسأل سجيناً ، وقد يكون عاشقًا يبث غرامه إلى محبوبته .. إلخ (٣٥).

والجدير بالذكر أن هناك علاقة وطيدة بين العلاقات الاجتماعية وتحديد الوحدات اللغوية التي يختارها، فلقد لاحظ [ويل هايمز] أن العلاقة بين المتكلم والمخاطب تتضمن غير بعد واحد، ومن أهمها :

١- بعد القوة power أو السلطة، التي يباشرها المتكلم على المخاطب أو العكس، فقد يكون أحدهما أقوى نفوذًا Superior من الآخر، أو مساويًا له equal أو أدنى منه subordinate .

٢- التلاحم solidarity وهو يحدد وفقًا لدرجات العلاقة بين المتكلم والمخاطب، فقد تكون وثيقة أو حميمة Intimate وقد تكون بعيدة أو ضعيفة Distant .

٣- العمر، قد يكون أحدهما أسن من الآخر أو مقاربًا له أو دونه .. إلخ .

٤- الجنس، فقد يكون أحدهما رجلاً أو امرأة [٣٦].

وبناءً على ما سبق، فإن العلاقة الاجتماعية تظهر من خلال اللغة في ألفاظها وتراكيبها، ومن ثم يمكن الاستعانة بالتراكيب اللغوية، والمواقف الكلامية؛ لتحديد هذه العلاقة القائمة بين المتكلم والمخاطب .

واللافت للنظر أن كتب التداولية اقتصرت على بعض الألفاظ الدالة على الطبقات الاجتماعية، ولهذا السبب فقد عوّلت على الأساليب العربية الإنشائية؛ لنعرف منها هذه العلاقات وتلك الدلالات من خلال السياقات التي وردت فيها.

وقصيدة [ارحل وعارك في يديك] من القصائد التي تعج بالأساليب الإنشائية؛ مثل: الأمر والنهي والاستفهام، ويظهر ذلك جليًا من خلال تحليلها.

يقول الشاعر :

ارحل وعارك في يديك
كل الذي أخفيته يبدو عليك
فاخلع ثيابك وارتحل
.....
ارحل وعارك في يديك
انظر إلى صمت المساجد والمنابر تشتكي
ويصيح في أرجائها شبح الدمار
انظر إلى بغداد تنعي أهلها

فمن خلال التراكيب السابقة ثمة ملاحظة مهمة يجدر الإشارة إليها، وهي: أن الشاعر عمد إلى أسلوب الأمر، والأمر لا يكون إلا من مستوى أعلى إلى مستوى أقل، فالشاعر هنا يمثل الوطني المخلص لوطنه والحريص على عروبته وأمته، ومن ثمَّ،

فهو هنا يمثل [المستوى الأعلى] على عكس المغتصب والمحتل للأرض العربية الذي يمثل [المستوى الأدنى] ، وبدهي أن تكون هذه اللغة من صاحب حق إلى مغتصب ومحتل . ولذلك فقد وظَّف الشاعر لهذه العلاقة مجموعة من الألفاظ والتراكيب أسهمت بدور مهم في كشف هذه العلاقة، فهو لم يطلب منه الرحيل فقط، بل أمره أيضًا أن يخلع ثيابه متجردًا من كل شيء؛ لأن كل ما أخفاه ظهر عليه من خلال أفعاله التي ارتكبها في حق الأمة العربية. وراح الشاعر يكثف من استعمال أسلوب الأمر مذكرًا هذا المغتصب بالدمار الذي حلَّ بالمساجد مما جعلها تصمت عن الآذان، كما أن المنابر قد اشتكت نتيجة للدمار الذي حل بها.

وتأكيدًا على هذه العلاقة، فقد لجأ فاروق جويدة إلى أسلوب النهي أيضًا؛ تأكيدًا منه أيضًا على مدى جرم هذا المغتصب؛ حيث يقول :

لا تنتظر طفلاً يتيمًا بابتسامته البريئة
أن يقبل وجنتيك
لا تنتظر عصفورة بيضاء
تغفو في ثيابك
لا تنتظر أما تطاردها دموع الراحلين
لعلها تبكي عليك
لا تنتظر صفحًا جميلاً
الدماء السود مازالت تلوث راحتيك

فالشاعر هنا طلب منه ألا ينتظر من [الطفل اليتيم – العصفورة البيضاء – الأم] وهؤلاء الثلاثة نماذج ضعيفة، فلا ينتظر من الأول أن يقبل وجنتيه، ولا ينتظر من الثاني أن تغفو في ثيابه، ولا ينتظر من الأخير أن تبكي عليه، ونتيجة ذلك طلب منه أيضًا ألا ينتظر منه صفحًا جميلاً ؛ لأن الجزاء من جنس العمل ؛ جزاء ما ارتكبه في حق الشعوب العربية .

ويبرز أسلوب الاستفهام من الأساليب التي لجأ إليها فاروق جويدة؛ للتأكيد أيضًا على كم الجرائم التي ارتكبها هذا المحتل الغاصب في حق الشعب العربي؛ مثل قوله :

ولمن يكون الاعتذار ؟

للأرض .. للطروقات .. للأحياء .. للموتى ..
وللمدن العتيقة .. للصغار ؟!
لمواكب التاريخ .. للأرض الحزينة
للشواطئ .. للقفار ؟!
لعيون طفل مات في عينيه ضوء الصبح
واختنق النهار ؟!

ويبدو أنه اعتمد هنا بشكل مباشر على أسلوب الاستفهام باعتباره [مرتكزًا ضوئيًا] تنطلق منه بقية التراكيب الأخرى؛ فلمن يكون الاعتذار ؟

هل يكون للأرض والطروقات أم يكون للأحياء الموتى ؟
هل يكون للمدن العتيقة أم للصغار ؟
هل يكون لمواكب التاريخ أم للأرض الحزينة ؟
هل يكون للشواطئ أم للقفار ؟

وهذا إن دل على شيء، فإنما يدل على الكم الهائل من الخراب والدمار الذي تسبب فيه هذا المحتل الغاصب.

ويمكننا توضيح ذلك من خلال الشكل الآتي:

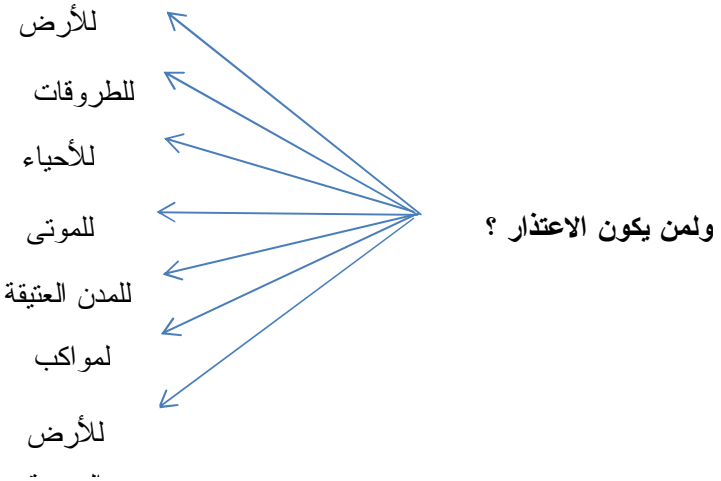

سابعًا: حواشي البحث

[*] انظر نص هذه القصيد في الديوان "هذه بلاد لم تعد كبلادي " ص ١١ : ٣٧ .

[١] د. محروس محمد إبراهيم علي : تداوليات الخطاب وضوابط الرواية والتلقي، مجلة علوم اللغة، المجلد [١٠] ، العدد [١] ، ٢٠٠٧م ، ص ١٦٤ وما بعدها .

[٢] حول ذلك يُنظر :

- د. عبد الهادي ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب، دار الكتاب الجديد، المتحدة، ط١، بني غازي، ليبيا، ٢٠٠٤م ، ص ٨٤ .
- د. محمود أحمد نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، مكتبة الآداب، القاهرة، ط١، ٢٠١١م، ص ١٦ وما بعدها .

[٣] برند شبلنر: علم اللغة والدراسات الأدبية، ترجمة: محمود جاد الرب، الدار الفنية للنشر، القاهرة، ط١، ١٩٨٧م، ص ١٨٨ .

[٤] تون أ. فان دايك: علم النص .. مدخل متداخل الاختصاصات ، ترجمة: د. سعيد حسن بحيري، دار القاهرة، ط، ٢٠٠٥م ، ص ١٣٦ .

[٥] د. محمود أحمد نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص ١٧.

[٦] السابق، ص ١٤ .

[٧] نعمان بوقرة: التصور التداولي للخطاب اللساني عند ابن خلدون، مجلة الرافد، يناير، ٢٠٠٦م ، ص ٨٣ .

[٨] أ. حمادي مصطفى: تداوليات الإشاريات في الخطاب القرآني .. مقاربة تحليلية لكشف المقاصد والأبعاد، بحث منشور بمجلة الأثر، جامعة الجيلالي اليابس سيدي بلعباس، الجزائر، العدد [٢٦]، سبتمبر ، ٢٠١٦م ، ص ٦٤.

[٩] د. عبد الهادي ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب، ص ٨١ .

[١٠] د. محمود أحمد نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص ٥٤ .

[١١] د. عيد بلبع: التداولية pragmatics البعد الثالث في سيميوطيقا موريس من اللسانيات إلى النقد الأدبي والبلاغة، ٢٠٠٩م ، ص ٤١ .

[١٢] د. محمود أحمد نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص ١٨ بتصرف.

[١٣] د. أحمد المتوكل: قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، الدار البيضاء، دار الثقافة، ٢٠١٠م، ص ١٤٤ .

[١٤] د. محمود أحمد نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص ١٩.

[١٥] تؤدي العناصر الإشارية دورًا مهمًا في انفتاح وتوسعة النص؛ مثل قوله تعالى :"إنه لا يفلح الظالمون " .. يوسف/ ٢٣. فالضمير [إنه] يعود على مرجع مبهم، فهو إما إلى الذين يجازون الحسن بالسيء، وقيل: الزناة؛ لأنهم ظالمون لأنفسهم، وقيل: أراد الله ؛ لأنه مسبب الأسباب .. حول ذلك ينظر: الزمخشري: أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري [٤٦٨-٥٣٨] . الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، شرح وضبط ومراجعة : يوسف الحمادي، مكتبة مصر، ٤٥٦/٢.

[١٦] أ. حمادي مصطفى: تداوليات الإشاريات في الخطاب القرآني ، مقاربة تحليلية لكشف المقاصد والأبعاد، جامعة الجيلالي اليابس سيدي بلعباس، الجزائر، مجلة الأثر، العدد ٢٦ سبتمبر، ٢٠١٦م، ص ٦٦ .

[١٧] عن هذه العلاقة الواضحة ينظر : أرامينكو، فرانسواز: المقاربة التداولية، ترجمة: سعيد علوش، الرباط، مركز الإنماء القومي، ١٩٨٦م، ص ٤٢.

[١٨] د. مالك يوسف المطلبي: الزمن واللغة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٦م، ص ٢٦.

[١٩] سيبويه [أبو بشر عمرو بن قنبر ت ١٨٠هـ] : الكتاب، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار القلم، القاهرة، ١٩٦٦م، ٢٢/١.
[٢٠] د. علي جابر المنصوري: جملة الماضي والحاضر والمستقبل، مقال منشور بمجلة كلية الشريعة، بغداد، العدد ٦ ، ١٩٥٨م، ص ٦-٢٣.
[٢١] نفسه، ص ٦-٣١.
[٢٢] د. عبد الله جاد الكريم: التداولية في الدراسات النحوية، مكتبة الآداب، القاهرة، ط١، ١٤٣٥هـ / ٢٠١٤م، ص ٤٤ وما بعدها .
[٢٣] د. محمود نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص ٢٢.
[٢٤] جورج يول: التداولية، ترجمة: قصي العتابي، الدار العربية للعلوم، ط١، ٢٠١٠م، ص ٣٣ .
[٢٥] د. محمود نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص ٢٢.
[٢٦] السابق، ص ٢٥ .
[٢٧] ابن هشام: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق: د. صالح عبد العظيم الشاعر، مكتبة الآداب، القاهرة، ٢٠٠٩م، ص ٢٤٠ .
[٢٨] د. محمد خطابي: لسانيات النص [مدخل إلى انسجام الخطاب]، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط٢، ٢٠٠٦م، ص ٢٣.
[٢٩] د. محمود نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص ١٧ .
[٣٠] أحلام صلوح: أفعال الكلام في نهج البلاغة للإمام علي رضي الله عنه .. دراسة تداولية، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة الحاج لخضر، ٢٠١٢م ، ص ٢٢ .
[٣١] د. نادية رمضان النجار: الاتجار التداولي والوظيفي في الدرس اللغوي، ط١، مؤسسة حورس الدولية، ٢٠١٣م – ١٤٣٤هـ ، ص ٩٠.
[٣٢] د. أحمد مختار عمر: علم الدلالة، الكويت، ١٩٨٢م، ص ٧١ .
[٣٣] السابق، ص ٢٢٨ .
[٣٤] د. محمد حسن عبد العزيز: علم اللغة الاجتماعي، مكتبة الآداب، القاهرة، ٢٠٠٩م، ص ٢٧٣ .
[٣٥] السابق، ص ٢٧٣ وما بعدها .

ثامنًا: الخاتمة

تناول هذا البحث موضوع [العناصر الإشارية في قصيدة " ارحل وعارك في يديك " لفاروق جويدة .. دراسة تحليلية] ، وقد توصلت من خلاله إلى مجموعة من النتائج الآتية:

[١] كشفت العناصر الإشارية الشخصية البعد التبليغي بارتباط الضمائر فيه مع السياق الكلامي؛ حيث أحالت على طرفي التخاطب حسب موضع [المتكلم – السامع] فكل منهما هو محدد المرجع ومطابق للواقع .

[٢] كشفت العناصر الإشارية الاجتماعية داخل المدونة النصية نوع العلاقة القائمة بين المتخاطبين أثناء عملية التواصل .

[٣] شكل العنصر الإشاري لدى فاروق جويدة ملمحًا أسلوبيًا في هذه المدونة.

[٤] يعد نص المدونة النصية خطابًا مكانيًا – إن صح هذا التعبير – فالأمكنة التي تم رصدها تمثل ركنًا مهمًا في الخطاب؛ لارتباطها بالموقف الشعري، حيث لجأ فاروق جويدة إلى شحن القصيدة بدلالات وإيحاءات مكثفة من خلال توظيف الرموز المكانية.

[٥] أن استعمال العناصر الإشارية وتنويعها وتوزيعها أسهم في التواصل الناجح بين الشاعر ومخاطبيه .

[٦] أسهمت الإشاريات الزمانية في تحديد زمان وقوع الأحداث؛ حيث إنها ارتبطت ارتباطًا وثيقًا بالذاكرة التاريخية للعرب، وهي ذاكرة حية لا تموت بموت الأشخاص .

[٧] أدت الإشاريات المكانية دورًا مهمًا في مساعدة القارئ للتعرف على مكان التلفظ ، وتحديد المواضع التي تفاعل فيها شركاء الخطاب .

[٨] تعد الإشاريات الخطابية من خواص الخطاب، وهي مؤشرات لغوية تبرز على مستوى البنية السطحية للملفوظ؛ لتحيل إلى موقف خاص بالمتكلم.

[٩] خضعت الإشاريات الاجتماعية في هذه المدونة إلى عوامل سياقية ترتبط أساسًا بعلاقة المتكلم بالمخاطب ومقاصد المتكلم.

[١٠]أدت الإشاريات دورًا مهمًا في تكوين الخطاب وربطه بالسياق الذي يتفاعل معه .

[١١]جاءت الإشاريات الشخصية بصورة لافتة للنظر؛ وذلك لأن فاروق جويدة يتحدث دائمًا عن بوش وما اقترفه في حق الشعوب العربية .

[١٢]لم تأت الإشاريات المكانية للإشارة إلى المكان قدر مشاركتها في الخطاب؛ إذ إنها تؤدي دورًا مهمًا في الوصول إلى مقصد المكلم .

تاسعًا: ثبت المصادر والمراجع

أولاً: مصدر البحث:

[١] قصيدة " ارحل وعارك في يديك " الديوان الجديد " هذي بلاد لم تعد كبلادي " ، فاروق جويدة، دار الشروق ، ط٢، ٢٠١٠م .

ثانيًا: المراجع :

[١] إبراهيم [د. محروس محمد] : تداوليات الخطاب وضوابط الرواية والتلقي، مجلة علوم اللغة، المجلد [١٠] ، العدد [١] ، ٢٠٠٧م .

[٢] بلبع [د. عيد] : التداولية. البعد الثالث في سيميوطيقا موريس من اللسانيات إلى النقد الأدبي والبلاغة، ص٢٠٠٩م .

[٣] بوقرة [نعمان] : التصور التداولي للخطاب اللساني عند ابن خلدون، مجلة الرافد، يناير ، ٢٠٠٦م .

[٤] جاد الكريم [د. عبد الله] : التداولية في الدراسات النحوية، مكتبة الآداب، القاهرة، ط١، ١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م .

[٥] خطابي [د. محمد]: لسانيات النص. مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط٢، ٢٠٠٦م .

[٦] الزمخشري [أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري ٤٦٨ - ٥٣٨] : الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، شرح وضبط ومراجعة: يوسف الحمادي، مكتبة مصر، د.ت .

[٧] سيبويه [أبو بشر عمرو بن قنبر ت ١٨٠هـ] : الكتاب، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار القلم، القاهرة، ١٩٦٦م .

[٨] شبلنر [برند] : علم اللغة والدراسات الأدبية، ترجمة: محمود جاد الرب، الدار الفنية للنشر، القاهرة، ط١، ١٩٨٧م .

[٩] الشهري [د. عبد الهادي ظافر] : استراتيجيات الخطاب، دار الكتاب الجديد، المتحدة، ط١، بني غازي، ليبيا، ٢٠٠٤م .

[١٠] صلوح [أحلام] : أفعال الكلام في نهج البلاغة للإمام علي رضي الله عنه . دراسة تداولية، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة الحاج لخضر، ٢٠١٢م .

[١١] عبد العزيز [د. محمد حسن] : علم اللغة الاجتماعي ، مكتبة الآداب، القاهرة، ٢٠٠٩م .

[١٢] عمر [د. أحمد مختار] : علم الدلالة، الكويت، ١٩٨٢م .

[١٣] فان دايك [تون أ] : علم النص. مدخل متداخل الاختصاصات، ترجمة د. سعيد حسن بحيري، دار القاهرة، ط٢، ٢٠٠٥م .

[١٤] فرانسواز [أرامينكو] : المقاربة التداولية، ترجمة: سعيد علوش، الرباط، مركز الإنماء القومي، ١٩٨٦م .

[١٥] المتوكل [د. أحمد] : قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، الدار البيضاء، دار الثقافة، ٢٠١٠م .

[١٦] مصطفى [أ. حمادي] : تداوليات الإشاريات في الخطاب القرآني، مقاربة تحليلية لكشف المقاصد والأبعاد، بحث منشور بمجلة الأثر، جامعة الجيلالي اليابس سيدي بلعباس، الجزائر، العدد [٢٦] ، سبتمبر، ٢٠١٦م .

[١٧] المطلبي [د. مالك يوسف] : الزمن واللغة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٦م .

[١٨] المنصوري [د. علي جابر] : جملة الماضي والحاضر والمستقبل، مقال منشور بمجلة كلية الشريعة، بغداد، العدد [٦] ١٩٨٥م .

[١٩] النجار [د. نادية رمضان] : الاتجاه التداولي والوظيفي في الدرس اللغوي، ط١، مؤسسة حورس الدولية، ١٤٣٤هـ، ٢٠١٣م .

[٢٠] نحلة [د. محمود أحمد] : آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، مكتبة الآداب، القاهرة، ط١، ٢٠١١م.

[٢١] ابن هشام: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق : د. صالح عبد العظيم الشاعر، مكتبة الآداب، القاهرة، ٢٠٠٩م .

[٢٢] يول [جورج]: التداولية، ترجمة: قصي العتابي، الدار العربية للعلوم، ط١ ،٢٠١٠م.